معركة متريكرت

فى ضوء وثائق بسيللوس

بقلم

الدكتورة اسمت غنيم

كلية التربية – جامعة الاسكندرية

معركة منزيكرت

فى ضوء وثائق بسيللوس

تعتبر معركة منزيكرت من أهم وأخطر المعارك فى تاريخ العلاقات البيزنطية الاسلامية ، لما ترتب عليها من نتائج بعيدة المدى غيرت ميزان القوى فى منطقة الشرق الأدنى خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ولمدة قرنين تاليين .

فان هذه المعركة التاريخية التى جرت فى عام ١٠٧١ م . بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة المسلمين ، والتى انتهت بانتصار ساحق للسلاجقة ، قد فتحت طريق آسيا الصغرى على مصراعيه للمسلمين ، الذين لم يجدوا أمامهم أى عائق يحول دون تقدمهم فى هذه البلاد على حساب الممتلكات البيزنطية ، فاستمروا يوالون فتوحاتهم الواحدة تلو الأخرى ويتقدمون من موقع إلى آخر أكثر قرباً من العاصمة البيزنطية نفسها ، حتى لم يعد يفصل بينهم وبينها سوى مضيق البوسفور .

وهكذا وبضربة واحدة دفعت غرباً الحدود التقليدية التى طالما فصلت بين المسلمين والدولة البيزنطية .

وقد سارت الامبراطورية البيزنطية بعد هذه المعركة بخطى سريعة نحو الانهيار ، ففى الداخل اشتعلت الحروب الأهلية بين البيزنطيين من أجل الاستحواذ على العرش ، وانهارت القوة العسكرية للدولة ، كما أنهار النظام الادارى بها .

وفى الخارج ازداد طمع الاعداء بها واعتدائهم على ممتلكاتها ، وقد أدت كل هذه العوامل إلى تفاقم خطر السلاجقة بشكل لم تتمكن معه الامبراطورية البيزنطية من التصدى لهم ، مما دفعها إلى الالتجاء إلى الغرب الأوروبى واستجداء مساعدته العسكرية فى محاولة لوقف تقدم السلاجقة وما تلى ذلك من قيام الحركة الصليبية .

فهذه المعركة ، قد غيرت ميزان القوى فى منطقة الشرق الأدنى لصالح المسلمين وكانت الشرارة الأولى التى أطلقت الحروب الصليبية بكل ما صاحبها من تغييرات جوهرية فى المنطقة لمدة قرنين من الزمان .

ومعركة منزيكرت ، نسبة إلى مدينة منزيكرت التى تقع فى أرمينيا إلى الشمال من بحيرة فان Van وهى المدينة التى جرت المعركة بالقرب منها وهذه المدينة من المدن القليلة التى عرفت بأكثر من اسم واحد . فقد اختلفت تسميتها فى المصادر العربية عنها فى المصادر البيزنطية ، بل لقد تعددت تسمياتها فى المصادر العربية نفسها ، فقد ذكرها كل من المؤرخين(١)

سبط ابن الجوزى باسم منازجرد ، وابن العديم باسم منازكرد ، وابن الأثير باسم ملازكرد ، وأبو الفدا باسم ملازجرد ، ووصفها بقوله : «وهى بلد صغير وبناؤها بالحجر الأسود ، وبها أعين ، وليس بها أشجار ، قال ابن حوقل وهى بلدة تقارب خلاط ونشوى فى القدر ، خصبة كثيرة الخير ، وهى قريبة من أرزن بينهما يومان أو ثلاثة ، تقع أرزن جنوبيها وفى جنوبيها وشرقيها بدليس وبينهما قريب من يوم ونصف» .

---

(١) راجع المصادر العربية التالية :

- ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨ ، حاشية ص ص ٩٩ — ١٠٥
- ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، دمشق الجزء الثانى ص ٢٦
- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، جـ٨ ، ص ١٠٩
- أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ، ١٨٤٠ ، ص ص ٣٩٤ — ٣٩٥ .

وهكذا لم تتفق المصادر العربية على تسمية واحدة لهذه المدينة ، أما المؤرخون البيزنطيون وعلى رأسهم الامبراطور قسطنطين السابع فقد ذكروها باسم Manzikiert (١) ، ويكاد يكون الاتفاق تاماً بينهم على هذا الاسم فيما عدا ميخائيل الاطالياتى (٢) الذى ذكر ها باسم قريب جداً من هذا الاسم وهو Manzikert

وإذا رجعنا إلى المؤرخين المحدثين المهتمين بالدراسات البيزنطية ، مثل فازيلييف ، استروجورسكى ، تومانوف ، برييه ، وهسى (٣) . نجدهم يجمعون على استعمال اسم Manzikert . وهكذا يجد الباحث نفسه

---

1. Constantinus Porphyrogenitus : De Thematibus et de adminsitrando Imperio, Bekkerus, Bonnae, Mdccc xl, p. 191—192

— Ioannis scylitzae Curopalatae : Excerpta Exbreviario Historico, Webri, Bonnare, Mdcccxxxix, p.692.

— Ioannis zonarae : Epitomae Historiarum, weberi, Bonnae, Mdcccxcvll, Tomus, libri xv111, p— 697.

2. Michaelis Attaliotae : Historia, Emendatior, Bonnae, Mdccc1111, p. 166 .

3. Vasiliev : History of the Byeantine History, U.S.A., 1958, voll, P. 356.

— Ostrogorsky : History of the Byzantine State,translated By Hussey, oxford, 1968, p. 344.

— Toumanoff : The Background to Mantsikert, inproceedinsg of the x111 the international congress of Bygantine Studies, ed. Hussey, Obolensky, and Runciman, London, oxford university press, 1967, pp. 411 — 426.

— Brehier : Vie et mort de Byzance, paris, 1969, p. 231—233.

— Hussey : The later macedonians, the comneni and the Angeli 1025 — 1204. in C.M.H. vol lv., part I, ed. Hussey cambridge university press, 1966, p. 209.

أمام اسماء متعددة لهذه المدينة ،وان كنت أحبذ الأخذ بما أجمع عليه المؤرخون المحدثون وهو اسم منزيكرت خاصة وانه أقرب الاسماء إلى التسمية البيزنطية لها

ولا يستطيع باحث فى معركة منزيكرت أن يعرض لها دون أن يرجع للمؤرخ البيزنطى بسيللوس يستقى منه المعلومات التى تنير أمامه السبيل فى هذا الموضوع ، ذلك ان بسيللوس هو أحد المؤرخين المعاصرين لهذه المعركة وكل ما أحاط بها من أحداث سياسية ، ليس ذلك فحسب ، بل لقد شارك بشخصه فى صنع هذه الأحداث ، وقد دون بسيللوس تاريخ هذه المرحلة فى مؤلفه التاريخى المعروف باسم Chronographie والذى تناول فيه عرض للأحداث السياسية التى وقعت فى الفترة التاريخية الممتدة من عام ٩٧٦ وحتى عام ١٠٧٧ م .

ويقول المؤرخ استروجورسكى فى تقييمه لهذا المصدر التاريخى . انه يعتبر فى المرتبة الأولى من الأهمية فيما يتعلق بالفترة االزمنية التى تناولها ، وانه لا نظير له فى قوة تأملاته ، ووصفه الحى ، وتحليلاته النفسية المميزة وتصويراته الذكية (١) ويتفق معه فى هذا الرأى المؤرخ فازيلييف (٢) .

والمعروف ان مجموعة بون البيزنطية المعروفة باسم

Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae

تضم أعمال المؤرخين البيزنطيين على اختلاف عصورهم التاريخية ، ولكن على خلاف العادة لم نعثر على هذا المصدر التاريخى لبسيللوس Chronographie ضمن مجموعة بون ، فهو لم ينشر بها ، وانما نشر على يد العالم الفرنسى رينول Renauld الذى نشر الأصل اليونانى مع ترجمة فرنسية فى مجلدين ظهر الأول فى عام ١٩٢٦ ، وظهر الثانى فى عام ١٩٢٨ . ثم نشرت ترجمة انجليزية لهذا المصدر التاريخى نشرها Sewter وظهرت فى عام ١٩٥٣ .

---

1. Ostrogorsky : op. cit., P. 316.
(2) Vasiliev : op. cits. Vol. 11, p. 368.

وقد اعتمدنا على الأصل اليونانى الذى نشره رينول (١)

وقد حرص بسيللوس على أن يعرض للأحداث السياسية التى تضمنها مؤلفه هذا بكافة التفاصيل الخاصة بها ، لذا فان الباحث يتوقع أن يمده بسيللوس بالكثير عن تفاصيل معركة منزيكرت .

ولنعرض الآن لوثائق بسيللوس الخاصة بهذه المعركة ، يقول بسيللوس

XX. Ὁ δέ με (οὐ) διέλαθεν, ἔλαθε τοῦτον, αὐτος δὴ ὁ σουλτάν, ὁ τῶν Περσῶν ἢ Κούρτων βασιλεύς, συνὼν τῷ στρατεύματι καὶ τὰ πλείω τῶν κατορθωμάτων ποιῶν· εἰ δέ τις ταῦτην ἐφώρασεν, ὁ δὲ οὐκ ἐπίστευε λέγοντι, ἀλλ' οὐδὲ εἰρήνην ἐβούλετο, ἀλλ' ᾤετο αὐτοβοεὶ αἱρήσειν τὸ τῶν ἐναντίων στρατόπεδον. Τὸ δ' ἀστρατήγητον τούτου διεῖλε τὰς δυνάμεις, καὶ τὰς μὲν αὐτοῦ κατεῖχε, τὰς δὲ ἐπ' ἄλλο τι ἐξαποστέλλει, καὶ δέον ὅλῳ τῷ πλήθει τοῦ στρατεύματος τοῖς ἐναντίοις ἀντικαθίστασθαι, ὁ δὲ τῷ ἐλάττονι μέρει πρὸς αὐτοὺς ἀντετάξατο.

XXI. Τὸ δὲ μετὰ ταῦτα ἐπαινεῖν μὲν οὐκ ἔχω, ψέγειν δὲ οὐ δύναμαι, αὐτὸς τὸν ὅλον κίνδυνον δέχεται· τοῦτο δὲ μέσον ἐστὶν ἀντιρρήσεως· εἰ μὲν γὰρ ὡς φιλοκίνδυνον λογίσαιτό τις τὸν ἄνδρα καὶ ἀγωνιστὴν προθυμότατον, ἔχοι ἂν ἀφορμὰς πρὸς ἐγκώμιον· εἰ δ' ὅτι, δέον κατὰ τὴν στρατηγικὴν ἀκρίβειαν πόρρω ἱστασθαι, πρωτοστράτηγον τυγχάνοντα τοῦ στρατεύματος, καὶ τοῖς πλήθεσιν ἐπιτάττειν τὰ δέοντα, ὁ δὲ ἀλογίστως παρεκινδύνευε, πολλὰ ἂν ἐς αὐτὸν ἀποσκώψειεν· ἐγὼ δὲ μετὰ τῶν ἐπαινούντων, ἀλλ' οὐ τῶν αἰτιωμένων εἰμί.

XXII. Ὡπλίστο μὲν οὖν τὴν στρατιωτικὴν πανοπλίαν, καὶ τὸ ξίφος ἐγύμνωσεν ἐπὶ τοὺς ἐχθρούς· ὡς δὲ ἐγὼ πολλῶν ἤκουσα, ὅτι καὶ πολλοὺς ἀνῄρηκει τῶν ἐναντίων, τοὺς δὲ καὶ ἐς φυγὴν κατηνάγκασεν. Εἶτα δή ὅστις εἴη γνώριμος τοῖς ἐς αὐτὸν βάλλουσι γεγονὼς, κύκλῳ τε ὑπὸ τούτων περιστοιχίζεται, καὶ ὀλισθαίνει μὲν τοῦ ἵππου βληθείς, εἶτα δὴ ἑαλώκει, καὶ δορυάλωτος εἰς τοὺς πολεμίους ὁ βασιλεὺς Ῥωμαίων ἀπάγεται, καὶ τὸ στράτευμα διαλύεται· καὶ τὸ μὲν διαφυγὸν μέρος βραχύ τι, τῶν δὲ πλειόνων οἱ μὲν ἑάλωσαν, οἱ δὲ μαχαίρας ἔργον γεγόνασιν.

1. Psellus : Chronographie, Collection Byzantine publiee sous le partonage de l'association tullaume Pudé. Serie par Renauld, paris 1928, Vol. 1.

2. Psellus : Chronographie, Vol. 11, pp. 161 — 162.

وترجمة هذه الوثائق باللغة العربية كما يلى :

«نما إلى علمى ان السلطان بنفسه الذى اسميه ملك الفرس والكرد كان هناك مع جيشه وهو السبب فى صنع أكثر الانتصارات . إذا كان أحد قد تنبه إلى وجود السلطان وأخبر الامبراطور بذلك لم يكن ليصدق هذا الكلام . الامبراطور لم يكن راغباً فى السلام ، وكان يحلم بأنه سوف يتمكن وخلال أول هجوم له من أسر جيش الاعداء . جهله باستراتيجية الحرب دفعه إلى تقسيم قواته ، احتفظ ببعض قوات الجيش فى مكانه وأرسل جزءاً من قواته إلى مكان آخر وفى الوقت الذى كان يتحتم عليه أن يقف مع جيشه بكامله ويتصدى للاعداء ، وقف مع الجزء الأكثر ضعفاً وأصدر اليهم أوامره بالمعركة .

الذى جاء بعد ذلك لا امتدحه ولا استنكره ، الامبراطور أدرك تماماً مدى الخطر ، الحذر يكون الحد الوسط بين الضدان (١) . إذا تأملنا هذا الملك بصفته رجل شجاع ومحارب ملىء بالبسالة ، فانه سوف يمتدح . لكن إذا دققنا فى تصرفه حينما يكون قائداً وبصفته رئيساً يجب عليه ادارة خطة وأبعاد الخطر ، واتباع قواعد الاستراتيجية ، فهو يجازف دون حساب للخطر ، لدرجة تعرضه للكثير من السخرية ، لكننى مع الذين يمتدحونه وليس مع الذين يدينونه .

بناء عليه ، كان مستعداً كمحارب باسلحته كاملة ، وجرد سيفه ضد الاعداء ، سمعت من أشخاص كثيرين انه قتل كثير من الأعداء،وأجبر الآخرين على الفرار . لكنهم قذفوه بالسهام ، وأحدقوا به فى دائرة ضرب وسقط عن فرسه ، فتأكدوا من شخصيته وهو الآن أسير حرب بعيداً عند

---

(١) لعل بسيللوس يقصد بهذا ان الحذر يكون الحد الوسط بين الضدان وهما الجبن والشجاعة

الاعداء ، وسيق امبراطور الرومان أسيرا . هلك جيشه ، جزء ضئيل لاذبالفرار ، الجانب الأعظم اما أسر أو وقع فريسة سهلة لسيوف الأعداء. »

هذا فقط ما رواه بسيللوس عن معركة منزيكرت ، أما ما حدث بعد المعركة ويتعلق بمصير الامبراطور رومانوس ديوجنيس ، والحرب الأهلية التى دارت بينه وبين الحزب المدنى حتى استسلامه ، فقد رواه بسيللوس بأدق تفاصيله (١) .

ولنا ملاحظات عديدة على نصوص هذه الوثائق ، قبل أن نعرض لها ، لابد أن نعرض أولا لمعركة منزيكرت كما رواها المؤرخون البيزنطيون الآخرون ، وعلى رأسهم المؤرخان المعاصران ، والأول هو القربلاط يوحنا سكيليتزيس I Oannis Zcylitzae Curopalatae (١٠١٨ — ١٠٧٩) وكان يشغل منصب عميد القصر Curopalata ، وبحكم منصبه هذا وتردده على القصر اتيح له الاطلاع على وثائق هامة دونها فى تاريخه (٢) الذى نشرفى مجموعة بون البيزنطية تحت اسم Excepta Excbreviario Historico

والثانى هو ميخائيل الاطالياتى Michaelis Attaliotae وهو ينسب لمدينة اطاليا فى أقليم بامفيليه الذى يقع على الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى . وكان ميخائيل يشتغل بالقانون وشغل عدة مناصب قانونية بالعاصمة حتى أصبح القاضى العسكرى . وقد دون تاريخه كشاهد عيان للأحداث التى وقعت فى الفترة الزمنية الممتدة من عام ١٠٣٤ — ١٠٧٩م (٣) وتم نشره فى مجموعة بون البيزنطية باسم Historia

---

(1) Psellus : chrouographie, vol, pp. 162 — 172.

(2) Haussing : Ahistory of byzantine civilisation, English Tran slation, london, 1971, P. 341.

(3) Haussing : op. cit., p. 321

Ostrogrsty : op. cit. p. 317.

أما المؤرخ زوناراس John Zonaras فقد كان قريب العهد من هذه الفترة التاريخية إذ أنه عاش فى أواخر القرن الحادى عشر وخلال النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلاديين وقد شغل بعض المناصب الهامة فى القصر الامبراطورى أثناء عصر الامبراطور اليكسيوس كومنينوس (١٠٨١ — ١١١٨ م) ، ثم أنسحب إلى أحد الاديرة وعكف على تصنيف كتاب فى التاريخ بدأه منذ الخليقة وانتهى به عند عام١١١٨ م .(١) ونشر فى مجموعة بون البيزنطية باسم Epitomae Historiarum

كذلك سيتم الاستعانة بالمصادر العربية التى عرضت لهذه المعركة ، مع مقارنة أقوال المؤرخين بعضهم بالبعض الآخر ، من أجل الوصول للحقيقة التاريخية المجردة .

السلاجقة الذين خاضوا هذه المعركة ضد البيزنطيين يرجعون فى الأصل إلى الأغوز ويطلق عليهم أيضاً اسم التنزغز (القبائل العشرة) وعرفهم المسلمون باسم الغز ، وأطلق عليهم البيزنطيون اسم UZI . وقال الامبراطور قسطنطين السابع أنهم يجاورون بلاد الخزر (٢) .

والغز من القبائل التركية ، وتم اتحادهم فى قبيلة واحدة فى القرن السادس الميلادى وامتدت أملاكهم من الصين إلى البحر الأسود ، وقد دخل الغز إلى البلاد الاسلامية فى نهاية القرن العاشر الميلادى (٣)

---

(1) Dolger : Byzantine Literature, in C.M.H. ed Hussey Vol Iv, partIIcambrige, 1967, P. 237.

Haussing : op. cit., pp. 365 — 366.

Ostrogorsky : op. cit., P. 211.

(2) Constantinus Porphyrogenetus : op. cit. P. 164.

(٣) العريني : المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ص ٣٠ — ٣١ .

والسلاجقة ينسون إلى زعيمهم سلجق بن ياكاك ، وقد اعتنقوا الدين الاسلامى فى فترة متأخرة نسبياً سنة ١٠٠٠ م . وعرفوا بتحمسهم الشديد لعقيدتهم ، وفى القرن الحادى عشر الميلادى استقروا فى اقليم ما وراء النهر وأخذوا بأسباب الحياة الاسلامية وادارتها . وقد اعترف بسلطانهم الخليفة العباسى منذ البداية على أنهم من موالى أمير المؤمنين وفى عام ١٠٣٨ م تم أول اتصال بينه وبينهم فأرسل اليهم فى نيسابور رسولا يحمل رسالة منه يذكرهم فيها بالله ويحملهم على رعاية عبادته وعمارة بلاده وقد اغتبطوا لذلك أشد الاغتباط . « وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة» (١) .

وكان السلاجقة قد عينوا طغرلبك بن ميكائيل ملكاً عليهم فى عام ١٠٣٧م ثم تطلعوا لاقامة دولة والاستفادة من الجهود العسكرية للتركمان الذين كانوا محالفين لهم ، ويأتمرون بأمر طغرلبك ، فبدأ السلاجقة فى التوسع غرباً على حساب ايران ، وبعد أن تم لهم امتلاكها امتد نشاطهم العسكرى نحو ارمينيا ، التى كانت تدين بالولاء للبيزنطيين فى ١٠٤٥ م ، منذ عهد الامبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس (١٠٤٢ — ١٠٥٥) (٢) . وهكذا

---

(١) البندارى : تواريخ دولة آل سلجون ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، جـ٢ ، ص٦ .

الحسينى : زبدة التواريخ ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تصحيح محمد اقبال ، لاهور ١٩٣٣ ، ص ص ٣ — ٤ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ص١٧٦ .

Vasiliev : op. cit., P. 466.

C.M.H. ed Bury. cambridge, 1926, vol iv, pp. 300 — 303.

(٢) فيما يتعلق بالصراع بين البيزنطيين وامراء ارمينيا حتى نجاح البيزنطيين فى السيطرة عليها أنظر :

Toumanoff : Armenia and Georgia, in C.M.H., ed., Hussey, vol Iv, partll, cambridge, 1975, pp. 612 — 620.

كان لابد من الاحتكاك العسكرى بين الطرفين ، بعد أن وطد السلاجقة العزم على الاغارة على الممتلكات البيزنطية فى ارمينيا كجزء من خطتهم التوسعية من جهة ، ولاشباع رغبتهم فى الجهاد فى سبيل الله واعلاء كلمة الاسلام من جهة أخرى ، ومن جهة ثالثة لكسب شعور العالم الاسلامى ، بعد أن يظهرون أمامه بمظهر المدافعين عن الاسلام ، الذين يدودون عن حماة فى الوقت الذى تقاعس حكام الشرق الأدنى وعلى رأسهم الخلافتين الفاطمية والعباسية فى هذه المرحلة التاريخية عن الوقوف فى وجه البيزنطيين وحماية المسلمين والأراضى الاسلامية من غاراتهم .

إذن فلم تكن معركة منزيكرت أول المعارك بين الطرفين وانما سبقها معارك واشتباكات أخرى سواء على ساحة ارمينيا أو فى بلاد الشام (١)

ومما زاد فى خطورة الموقف بالنسبة للجانب البيزنطى أثناء صراعه مع السلاجقة ، ان الأباطرة البيزنطيين فى هذه المرحلة التاريخية وهى المرحلة التى تلت وفاة الامبراطور باسيل الثانى فى ١٠٢٥ م ، وحتى اعتلاء القائد رومانوس ديوجينس العرش فى عام ١٠٦٨ م . لم يكونوا على مستوى المسئولية ، وانما عرف عنهم الدعة وحياة اللهو والخمول كما أعتلى العرش فى تلك الفترة بعض النساء مثل زوى وثيودورا من الأسرة المقدونية ، وقد أدى كل ذلك إلى تفاقم الموقف فى بيزنطه واتاح الفرصة للسلاجقة للتفوق العسكرى على حسابها .

---

(١) أنظر تفاصيل الصراع بين الطرفين فى المرحلة السابقة لمعركة منزيكرت فى المصادر التالية :

ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ص ١١ — ١٣ .

ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٣٠٣ .

راجع أيضاً :

Schlumberger : L'opopee Byzntine ala Fin du dixieme siecle, paris, 1 905, vol III. pp. — 600 — 610.

ما أن تولى رومانوس ديوجنيس عرش الامبراطورية فى أول يناير ١٠٦٨ ، حتى وجد ضرورة وضع حد لغارات السلاجقة على الأراضى البيزنطية ، خاصة وهو القائد العسكرى الذى كان مدركاً تماماً لخطورة الموقف ، وأخذ يستعد لمنازلتهم ، وفى عام ١٠٦٨ قاد جيشه من اقليم قبادوقيا جنوباً حتى شمال الشام ، حيث حقق بعض النجاح على السلاجقة ، وفى عام ١٠٦٩ أرسل مساعده عسكرية إلى مدينة ميلتين (ملطية) التى تعرضت لغارة من جانب السلاجقة ، كما خرج بنفسه على رأس جيشه إلى أرمينيا ، لكن ضعف امكانياته العسكرية حال دون تحقيقه أى نصر عسكرى على السلاجقة ، الذين اخذوا يراوغونه واستولوا على العديد من المدن حتى قونيه Iconium وخونای chonae غرباً (٢) .

وفى عام ١٠٧٠ م . تقدم السلطان الب ارسلان إلى ارمينيا واستولى على مدينتى خلاط (١) ومنزيكرت (٢) .

وفى عام ١٠٧١ حدثت معركة منزيكرت بين البيزنطيين والسلاجقة ، وكان الامبراطور رومانوس ديوجنيس هو الذى اتخذ جانب المبادرة

---

(2) Zonaras : op. cit., pp. 690 — 695.

(١) هذه المدينة ذكرتها المصادر البيزنطية باسم Chaliat ، ووصفها أبو الفدا بقوله انها «فى مستو من الأرض ولها بساتين كثيرة ولها عدة أنهر تأتيها على شبه أنهار دمشق ، وليس يدخل المدينة منها الا الشىء اليسير ولها سور خراب وهى فى قدر دمشق وبردها شديد والجبال عنها على أكثر من مسيرة يوم . قال ابن حوقل هى بلد صغير عامر خصب كثير الخير قال فى العزيزى وبينها وبين ملازجرد سبعة فراسخ واجل مدينة بارمينيه خلاط وذكرها جليل الشهرة راجع :

Constantinus porphyrogenitus : op. cit. p. 191 — 192.

Icannis scylitzae : op. cit. p. 692.

ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ص ٣٩٤ — ٣٩٥ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ص ٩٩ — ١٠٠ نقلا عن سبط ابن الجوزى

Toumanoff : op. cit, p. 620

بالهجوم فى هذه المرة فاستعد استعداداً كبيراً وخرج من القسطنطينية فى ١٣ مارس ١٠٧١ على رأس جيش قدره المؤرخ ابن العديم بثلاثمائة ألف أويزيدون (١) ، أما ابن الأثير فقدره بمائتى ألفاً (٢) .

أما سبط ابن الجوزى ، فقدره بمائة ألف مقاتل (٣) ، وربما كان هذا أقرب إلى الحقيقة (٤) .

وقد بلغ من شدة ثقة الامبراطور بالنصر انه وزع البلاد التى سيفتحها على قادة جيشه ويقول سبط ابن الجوزى فى هذا الشأن : «وكان قد أقطع البطارقة البلاد مصر والشام وخراسان والرى والعراق ، واستثنى بغداد وقال : لا تتعرضوا لذلك الشيخ الصالح فانه صديقنا (يعنى الخليفة) . وكان عزمه يشتى بالعراق ويصيف بالعجم» (٥) .

وكانت الفرق البيزنطية فى هذا الجيش تحت قيادة اندرونيكوس دوقاس ، وهو ابن التيصر يوحنا دوقاس احد زعماء الحزب المدنى بالعاصمة وشقيق الامبراطور الراحل قسطنطين العاشر دوقاس (٦) . . وكانت هذه الفرق البيزنطية مدعمة بقوات من الولايات الشرقية للامبراطورية مثل فريجيا وقبادوقيا ، وكذلك قوات من الأقاليم الأوروبية التابعة للامبراطورية مثل مقدونيا وبلغاريا ، وحشود ضخمة من المرتزقة ذكر المؤرخون

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٠٩ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ ، نقلا عن سبط ابن الجوزى

(4)Gibbon : Decline and fall of the Roman Empire, u.s..a 1976, vol 6, p. 14.

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٣ نقلا عن سبط ابن الجوزى .

(6) Ioannis Scylitzea; op cit p. 698

Zonaras : op. cit. p. 701.

البيزنطيون (١) ، أنهم من الغزو الفرنجة (٢) . وكان تعداد الغز فى هذا الجيش ١٥ ألف ، والفرنجة ٣٥ ألف مقاتل (٣) .

أما المؤرخون المسلمون فذكروا ان هذه القوات كانت من الروم ، والروس ، والخزر واللان ، والغز ، والقفجق ، والكرج ، والانجاز ، والفرنج ، والأرمن (٤) .

وهكذا نجد أن الجيش الذى قاده الامبراطور رومانوس ديوجنيس لم يكن من عنصر واحد ، وانما تكون من عناصر مختلفة وخاصة من المرتزقة ولم يكن ديوجنيس بطبيعة الحال ، هو أول من استعان بالمرتزقة فى جيشه ، وانما كان ذلك من الأمور المستخدمة والشائعة فى الجيش البيزنطى على امتداد التاريخ البيزنطى كله ، بل وأكثر من ذلك فان الرومان هم الآخرون قد استخدموا الجنود المرتزقة فى جيوشهم منذ أقدم العصور (٥) .

---

(1) Ioannis scylitzae : op. cit., p. 691, Zonaras : op. cit; p. 689

(٢) كان هذا الاسم يطلق على كل العناصر التى تقطن غرب أوروبا وقتذاك . انظر :
Vasiliev : op. cit., vol 1, p. 356.

(٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ، ١٣٥٩ هـ جـ٨ ، ص ٢٦١ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ص ٢٤ — ٢٥ .
ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ١٠٩ .
وبخصوص التعريف بهذه الأسماء راجع ابن العديم ، نفس المصدر ، حواشى صفحتى ٢٤ — ٢٥

(٥) راجع عن ذلك المراجع التالية :

— Rostovtzeff : Ahistory of the Ancient world, oxford, 1928, vol 2, p. 323.

— Sinningen : AHIstory of Rome to A.D. 565, U.S.A. 1977. PP. 435 — 436.

— Reid : The Reorganisation of the Empire in C.M.H. ed Bury, cambridge, 1975, Vol, PP. 44 — 46.

— Ostrogorsky : op cit., pp. 79, 92, 332, 344, 354, 358, 370, 393, 483, 492.

وقد سلك الامبراطور بجيشة طريق ارمينيا ، وحينما وصل إلى قاليقلا ، وهى بالقرب من خلاط ، وصلت اخبار خروجه إلى السلطان الب ارسلان الذى كان قد فرغ لتوه من حصار مدينة حلب وانتزعها من يد الفاطميين ، ويتفق المؤرخون المسلمون على أن السلطان كان فى بلاد اذربيجان حين وصله نبأ خروج الامبراطور البيزنطى ، ولم يكن مع السلطان الب ارسلان الا خمسة عشر ألف فارس أما باقى جيشه فقد كان بعيداً عنه (١) ، ورغم ذلك فقد آثر السلطان ان يذهب لقتال البيزنطيين خوفاً من عبثهم بالبلاد الاسلامية ، فسير زوجته مع وزيره نظام الملك ، وأوصى بأن يكون ولى عهده أبنه ملك شاه خليفة له إذ أحدث له مكروه ، فقال لوزيره ووجوه جنده : «أنا صابر فى هذه الغزاة صبر المحتسبين وصائر اليه مصير المخاطرين فان سلمت فذاك ظنى فى الله ، وأن تكن الأخرى فأنا أعهد اليكم ان تسمعوا لولدى ملك شاه وتطيعوه وتقيموه مقامى وتملكوه عليكم ، فقد وقفت هذا الأمر عليه ورددته اليه» (٢)

اتخذ السلطان طريقه حتى وصل بالقرب من خلاط ، وهناك التقى ببعض القوات البيزنطية الاستكشافية وكانت تحت قيادة الدوقس باسيلاكيوس Basilacius فقام الاتراك بعمل كمين لهذه القوات ونجحوا فى الايقاع بها والقضاء عليها بأكملها ، وقبض على باسيلاكيوس فأمر السلطان بجدع أنفه وأرسل الاسلاب إلى نظام الملك وأمره ان يرسلها إلى بغداد مبشراً

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ص ٢٣ – ٢٤ .
ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ١٠٩ .
الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٧ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

بالفتح . (١)

وصل الامبراطور بقواته إلى خلاط وهناك قسم جيشه إلى قسمين ، ترك أحدهما وكان معظمه من الفرنجة تحت قيادة أحد القادة ذكرته المصادر البيزنطية باسمRuseliusوهو القائد النورمانى روسيل باليول Rusel of Baliol

وأمرهم بحصار المدينة حتى يتم الاستيلاء عليها ، أما باقى الجيش فقد سار مع الامبراطور حتى مدينة منزيكرت حيث القوا الحصار عليها ولكن الأهالى سلموها اليه خوفاً من بطشه بهم إذا أستولى عليها عنوة . وكان ذلك فى يوم الثلاثاء ١٦ أغسطس ١٠٧١ (٤ ذى القعدة ٤٦٣ هـ) (٢)

اقتفى السلطان وقواته أثر الجيش البيزنطى حتى التقوا به بالقرب من منزيكرت فى مكان يقال له الرهوة وهى صحراء تقع بين منزيكرت وخلاط ويجمع المؤرخون المسلمون على أن السلطان ارسل للامبراطور رومانوس ديوجنيش يطلب منه الهدنة وكان ذلك يوم الأربعاء ٥ ذى القعدة ٤٦٣ (١٧ أغسطس ١٠٧١) (٣) أى قبل المعركة الفاصلة بيوم واحد .

---

(1) Ioannis Scylitzae : op. cit. p. 694.
Zonaras : op. cit., p. 698.

ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٢٦١ .
ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ٢٦ .
ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٠٩ نقلا عن سبط بن الجوزى .
ابن القلا نسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ .

(2) Ioannis Scylitzea : op. cit., PP. 691 — 692.
Zonaras ; op. cit., P. 699.

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٧ .
ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٢٦١ .
ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٠٩ .
الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ .
ابن القلا نسى : ذيل تار نخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ .

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن السبب الذى من أجله ارسل السلطان يطلب الهدنة من الامبراطور ؟

ان المؤرخين الذين تعرضوا لهذه الحادثة لم يذكروا السبب ، أما المؤرخ ابن العديم فيسوق سبباً غير مقنع فيقول : (فارسل السلطان رسولا حمله سؤالا وضراعة ومقصوده أن يكشف أمرهم ويختبر حالهم ، ويقول لملك الروم : (ان كنت ترغب فى الهدنة اتممناها ، وان كنت تزهد فيها وكلنا الأمر إلى الله عز وجل» (١)

إذن فابن العديم يرى أن السلطان لم يكن جاداً فى طلب الهدنة وانما كان هدفه أن يكشف الرسول الذى أرسله مدى الاستعدادات العسكرية لدى البيزنطيين ولكننى لا أوافق ابن العديم فيما ذهب اليه ، وأرى ان السلطان كان جاداً بالفعل فى طلب الهدنة وذلك استناداً على ما رواه باقى المؤرخين الذين عرضوا لهذه الحادثة (٢)

أضف إلى ذلك ان أبن العديم نفسه قد ذكر ان السلطان لم يكن يجهل عظم القوات التى خرج بها الامبراطور البيزنطى ، فقال فى بداية سرده لحادثة خروج الامبراطور إلى بلاد المسلمين : «وقصد (السلطان) ملك الروم وأسرع فى السير لأنه بلغه ان ملك الروم خرج فى جموع لا تحصى » (٣) وهو ما يؤكده كذلك المؤرخون الذين سبقت الاشارة اليهم .

وان كان السبب الذى طلب السلطان من أجله الهدنة فى الغالب يرجع إلى أنه لم يكن فى حالة الاستعداد الكامل لمواجهة البيزنطيين فى معركة

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ٢٧ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٢٦١ .
ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٠٩
الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ .
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ نقلا عن سبط ابن الجوزى
(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ٢٣ .

كبيرة كتلك التى استعد لها الامبراطور ، فقد سمع بنبأ خروج الامبراطور للبلاد الاسلامية وهو فى طريقه إلى بلاده فى همذان ، وكان فى خاصة جنده ولم يتيسر له جمع باقى الجيش لبعد المسافة بينه وبينهم ، كما سبق أن أوضحنا ذلك فى موضعه ، لذا فالمرجح ان السلطان خشى عاقبه الهزيمة إذا اقتتل مع جيش الأعداء وهو فى هذا العدد القليل من جنده ، فاراد الهدنة حتى تتاح له فرصة الاستعداد الجيد للمعركة .

أضف إلى ذلك ان السلطان ألب ارسلان كان مشغولا فى هذه الفترة بموضوع الفاطميين الشيعة ، وكان لديه مشروعات عسكرية ضدهم خاصة بفتح بلادهم فى الشام ومصر والقضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية ، وهو الأمر الذى عزم عليه السلاجقة السنة منذ بداية ظهورهم فى منطقة الشرق الأدنى ودخولهم العراق فى عام ١٠٥٥ م (١)

وقد واصل السلطان الب ارسلان جهود سلفه طغر لبك ضد الفاطميين وفى عام ١٠٧١ نزل السلطان الب أرسلان محاصراً لمدينة حلب وكان واليها من قبل الفاطميين صالح بن مرداس ، الذى خلع السيادة الفاطمية واعترف

---

(١) أنظر تفاصيل الصراع بين الفاطميين والسلاجقة منذ بداية ظهورهم بمنطقة الشرق الأدنى فى المصادر التالية :

الشيرازى : السيرة المؤيدية ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٦٠٥٦ ص ١٤٢

البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ص ١٢ .

الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ١٨ .

ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ص ٢٤١ – ٢٤٢ ، ٢٧١ .

راجع كذلك :

سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، القاهرة ٩٦١ ، ص ١١٠ .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب القاهرة ١٩٥٨ ، ص ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

بسلطة السلطان السلجوقى (١)

وهكذا وجد لدى السلطان الب أرسلان أكثر من سبب دفعه لمحاولة عرض الهدنة على الامبراطور البيزنطى حتى تتحسن ظروفه فى المستقبل ويكون فى موقف أفضل يمكنه من منازلته والانتصار عليه .

على أية حال ، فان الامبراطور رومانوس ديوجنيس رفض قبول الهدنة ، وأصر على الحرب ، وربما اراد أن ينتهز فرصة عدم استعداد السلاجقة للمعركة وانشغالهم بموضوع الحرب ضد الفاطميين للتغلب عليهم واسترجاع الممتلكات البيزنطية التى تم لهم فتحها . وقد أورد المؤرخ ابن الجوزى نص رد الامبراطور على رسالة السلطان وكان كالتالى : «انى قد انفقت الأموال الكثيرة وجمعت العساكر الكثيرة للوصول إلى مثل هذه الحالة ، فاذا ظفرت بها فكيف أتركها هيهات لا هدنة الا بالرى ولا رجوع الا بعد أن أفعل ببلاد الاسلام مثل ما فعل ببلاد الروم» (٢)

كان من الطبيعى أن تنقطع المراسلة بين الطرفين ، بعد هذه الاجابة التى رد بها الامبراطور البيزنطى على رسالة السلطان السلجوقى ، وصمم السلطان على خوض المعركة مع البيزنطيين ، واتفق السلاجقة على خوض المعركة الفاصلة يوم الجمعة بعد صلاة الظهر والناس يدعون للمجاهدين

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ص ٢٢٠ — ٢٣ .
ابن الأثير : الكامل فى تاريخ ، جـ٨ ، ص ١٠٩ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٦١ .
راجع أيضاً :
ابن العديم : زبدة الحلب ، ز ٢ ، ص ٢٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ز٨ ، ص ١٩٠ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ نقلا عن سبط ابن الجوزى .

بالنصر . (١)

أخذ الجانبان البيزنطى والسلجوقى يستعدان للمعركة ، ولكن حدثت عدة أمور على جانب كبير من الخطورة أساءت للجانب البيزنطى اساءة كبيرة

فقبل بداية المعركة بساعات ، وفى ليلة الجمعة وعند منتصف الليل تماماً كما يذكر المؤرخون البيزنطيون ، انسحبت قوات الغز المصاحبة للجيش البيزنطى تحت جنح الظلام ، وانضموا لجيش السلاجقة ، وعرض المؤرخ زوناراس لهذه الحادثة بقوله :

Hoc modo nocte illa exacta, mane uzorum quaedam cohors ad Turcos transfugit (2).

ولكى نفهم هذا التصرف من جانب الغز ، يجب أن نعلم ان صلة الأصل الواحد والعصبية القبلية ، كانت عامل الربط أولا وقبل كل شىء ، بينهم وبين السلاجقة ، ويبدو انه عز على الغزان يقتتلوا مع ابناء عمومتهم السلاجقة لمصلحة طرف ثالث غريب عنهم ، فانفصلوا عن الجيش البيزنطى .

وقد ملأ تصرف الغز هذا نفس الامبراطور رومانوس ديوجينيس بالشك والريبة فى ولاء باقى عناصر المرتزقة ، وقد اثبتت الأحداث التالية صدق شعوره ، ذلك أن الامبراطور أرسل على وجه السرعة لاستدعاء القوات التابعة للجيش البيزنطى والمحاصرة لمدينة خلاط فى محاولة لتعويض

---

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٦١ .

ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧

الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ .

(2) Zonaras : op. cit.: p. 699.

Ioannis Scylitzae : op. cit. pp. 695 — 696.

النقص الذى سببه انسحاب الغز وكما سبق أن ذكرنا كانت هذه القوات من الفرنجة بقيادة روسيل باليول ، ولكن هذه القوات رفضت تنفيذ أوامر الامبراطور ، ورفضت الانسحاب من أمام خلاط (١) ، ولم يترك السلاجقة للامبراطور أية فرصة للتصرف ، وحسب خطتهم بدأوا هم بالهجوم وأشعلوا المعركة الفاصلة وكان ذلك بعد صلاة الجمعة يوم ٧ ذى القعدة سنة ٤٦٣ هـ (١٩ أغسطس ١٠٧١م) (٢) .

وقد حارب الامبراطور رومانوس ديوجنيس بشجاعة وبسالة شهد له بها جميع المؤرخين الذين تناولوا المعركة حتى بسيللوس نفسه ، ولكن مما أساء إلى موقفه اساءة بالغة ما حدث بعد ذلك ، فانه فى أوج اشتعال المعركة أخذ قائد الفرق البيزنطية اندرونيكوس دوقاس ، ينشر الاشاعات المغرضة بين صفوف الجند ، ومؤداها أن الجيش البيزنطى هزم وعليهم أن يسارعوا بانقاذ أنفسهم بالفرار ، فأخذ الجند يفرون طالبين السلامة لأنفسهم ، وساد الهرج بينهم مما أتاح للسلاجقة الفرصة لقتل وأسر الكثيرين منهم ، وأخذ اندرونيكوس الفرق البيزنطية التى تحت أمرته وسارع بالفرار ، وترك الجميع

---

(1) Ioannis Scylitzae : op. cit., P. 6965.

gibbon : op cit; vol. 6, p. 15.

(٢) ذكر المؤرخ ابن الأثير هذه المعركة فى حوادث سنة ٤٦٤ هـ ولم يذكر تاريخ اليوم بالتحديد ، ولكن الأصح ما ذكره كل من ابن العديم وابن الجوزى ، والحسينى ، وسبط ابن الجوزى من حدوث المعركة فى ذى القعدة ٤٦٣ هـ ، وهو يوافق أغسطس ١٠٧١ ، أنظر :

ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٠٩

ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ص ٢٧ — ٢٨ .

ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ .

الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ .

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ ، نقلا عن سبط ابن الجوزى .

راجع كذلك .

Ostrogorsky : op. cit. P. 344.

الامبراطور مع قلة من أتباعه فى أرض المعركة ، ورغم ذلك ظل يقاتل حتى سقط عن فرسه ، وحين عرف السلاجقة شخصيته إقتادوه أسيراً إلى خيمة السلطان الب أرسلان (١)

وكان الامبراطور رومانوس ديوجنيس أول وآخر امبراطور بيزنطى يقع أسيراً فى يد المسلمين على امتداد التاريخ البيزنطى كله ، وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة وعدداً وافره ويقول سبط ابن الجوزى فى هذا الشأن : «وغنموا (المسلمون) أموالهم بحيث تقاسموا الذهب والفضة بالرطل» (٢)

أما ابن العديم فيقول : «وغنموا (المسلمون) مالا يعد كثرة ولا يحصى عدداً وعدة .. وكانت مع الروم ثلاثة آلاف عجلة تحمل الاثقال والمنجنيقات وكان من جملتها منجنيق بثمانية أسهم تحمله مائة عجلة ، ويمد فيه ألف ومائتا

---

(١) تعرض المؤرخ البيزنطى المعاصر سكيليتزس لهذه الخيانة بقوله :

"A ndronicus caesaris filius imperatoris, patruelis ante meditatus insidias, ipse per se talem famam disseminavit, et cum milibus quos habebat cit ad castra se contulit, quem reliqui quoque imitati ad unum omnes . fugere;"

Ioannis scylitzae : op. cit; P. 698.

وذكر نفس المعنى المؤرخ المعاصر ميخائيل الاطالياتى ، أنظر :

Michalis A ttaliottae : op. cit, P. 168.

أما المؤرخ زوناراس فيوضح الخيانة وما ترتب عليها من فرار الجند البيزنطيين وتركهم الامبراطور فى ساحة المعركة ، ووقوعه أسيراً فى يد الأعداء فيقول :

„Is igiture Andronicus, cum non minimae exercitus parti imperaret, statim cum suis equo concitato in vallum rediit, quae res ceteros quoque in fugam convertit, Quous cum ita perurbate reverti videret rex, substeerent sed obsurduerant omnes nec fugam remittebant cum antem hostes inopinatam Romanorum; fugam ex divina ira coortam intellegerent, megem statim invaserunt".

Zonaras : op. cit., p. 701.

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٠ ، نقلا عن سبط ابن الجوزى .

رجل، وزن حجرة بالرطل الكبير قنطار، وحمل العسكر من أموالهما قدروا عليه ، وسقطت قيمة المتاع والسلاح والكراع ، حتى بيعت اثنتا عشرة خوذة بسدس دينار » (١) .

وقد أورد المؤرخون المسلمون (٢) وبعض المؤرخين البيزنطيين مثل سكيلتزيس (٣) ، الحديث الذى دار بين السلطان الب ارسلان والامبراطور الأسير رومانوس ديوجنيس .

وقد وبخه السلطان فى بداية الأمر لعدم قبوله الهدنة ثم أكرمه بعد ذلك وعقدت اتفاقية بينهما نصت على الشروط التالية : (٤)

١ — يدفع الامبراطور فداء لنفسه مليون ونصف مليون دينار (ألف ألف وخمسمائة ألف دينار) .

٢ — يدفع البيزنطيون للسلطان السلجوقى مبلغ ٣٦٠ ألف دينار جزية كل عام .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ص ٢٦٢ — ٢٦٤ .
ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ص ٢٩ — ٣٠ .
ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١١٠ .

(3) Ioannis Scylitzae : op. — cit, pp. 700 — 701.

(٤) أنظر نصوص الاتفاقية فى المصادر التالية :

Michaelis Attaliotae : op. cit., 166.

ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٣ ، نقلا عن سبط ابن الجوزى .
ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٥ ، ص ٣٠ .
ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ١١٠ .

٣ ــ اطلاق سراح الاسرى المسلمين الموجودين بالبلاد البيزنطية .

٤ ــ ارسال الجيوش البيزنطية للخدمة العسكرية مع جيوش المسلمين إذا اقتضت الضرورة وفى أى وقت يطلبها السلطان .

٥ ــ حمل الألطاف والتحف إلى السلطان .

٦ ــ ان تكون مدة الهدنة بين الطرفين على هذه الشروط لمدة خمسين عاماً .

وبعد التصديق على هذه الاتفاقية من الجانبين ، شيع السلطان بنفسه الامبراطور ليعود إلى بلاده ، وقد بلغ من كرم اخلاق السلطان الب ارسلان أنه رفض أن يترجل له الامبراطور عند وداعة ، وعانقه مودعاً .

وقد سارع الحزب المدنى بالعاصمة البيزنطية باعلان نبأ وفاة الامبراطور ديوجنيس فى معركته مع السلاجقة ، أو على الأقل أسرة لفترة طويلة . وعلى الفور ، انتقل القيصر يوحنا دوقاس من أملاكه فى آسيا الصغرى إلى القسطنطينية حيث أخذ هو وبسيللوس فى تصريف شئون الحكم . وحين علما أن ديوجنيس فى طريق العودة للعاصمة ، صمما على مقاومته والحيلولة دون عودته ، ولكى يسدا الطريق أمامه أوعزا إلى مجلس الشيوخ باعلان ميخائيل السابع صاحب الحق الشرعى فى العرش ، امبراطوراً ، وكان ذلك فى ٢٤ اكتوبر ١٠٧١ (١) .

كانت تلك هى معركة منزيكرت كما روتها المصادر البيزنطية والعربية وبمقارنة وقائع المعركة كما أوردتها هذه المصادر بالنصوص التى أوردها المؤرخ البيزيطى المعاصر بسيللوس ، يتضح ان هذا المؤرخ قد أورد المعركة

---

(19) Ioannis scylizae : op. cit. p. 702.

بصورة مبتورة ومشوهة وحاول جاهداً القاء مسئولية الهزيمة على عاتق الامبراطور رومانوس ديوجنيس وحده ، واخفى الكثير من الحقائق التى كانت مسئوله إلى حد كبير عن الهزيمة فى منزيكرت ، ومن أمثلة ذلك مايلى :

(أولا) لم يذكر تخلى الغز عن الجيش البيزنطى وانضمامهم للاتراك السلاجقة ، خاصة وان الغز كانوا يمثلون قوة لا يستهان بها فى الجيش ، وبلغ عددهم ١٥ ألف مقاتل كما سبق أن ذكرنا ذلك فى موضعه .

(ثانياً) اغفاله لاستدعاء الامبراطور رومانوس ديوجنيس لفرق الجيش المحاصرة لخلاط ، ورفض هذه الفرق الاستجابة لأوامر الامبراطور

(ثالثاً)أهم من ذلك كله أغفال بسيللوس لخيانة أندرونيكوس دوقاس ونشره الاكاذيب المضللة والاشاعات المغرضة عن هزيمة الجيش محرضاً بذلك الجند على الفرار وانسحابه من المعركة وفراره بجنوده ، وقد تحدث المؤرخون البيزنطيون عن هذه الخيانة واعتبرها عدد كبير من المؤرخين المحدثين أهم أسباب هزيمة الامبراطور ديوجنيس فى معركة منزيكرت وأذكر منهم على سبيل المثال المؤرخون جيبون ، استروجورسكى ، فازيلييف وهسى (١) .

ولم يكتف بسيللوس باغفاله لهذه الخيانة ، وانما راح فى موضع آخر ، وعند سرده للأحداث التالية لهزيمة ديوجنيس فى منزيكرت ، يكيل المديح

---

(19) Gibbon : The Decline and Fall of The Roman Empire, vol 6, p. 16.

Ostrogorsky : History of the Byzantine Empire, p. 344 Vasiliev History of Byzantine Empire, vol; p. 356. Hussey : op cit., p. 209.

Vryonis : Byzantion and Europe, London, 1967, pp. 133—134.

لاندرونيكوس دوقاس ويصفة بقوله : (١)

XXXVI. Τούτου μὲν δὴ τοῦ μέρους ἀφέμενος, ἐξ ἀνάγκης ὁ βασιλεὺς τῷ Ἀνδρονίκῳ δοὺς τὰ στρατεύματα. ὁ πρεσβύτερος δὲ οὗτος τῶν υἱῶν τοῦ καίσαρος ἦν, ἀνὴρ καὶ τὴν ἡλικίαν ἀξιοθέατος καὶ τὴν γνώμην ἐλεύθερος, τήν τε ψυχὴν εὐμενὴς καὶ ἐπιεικέστατος, ξυμπάσης τε τῆς ἕω τὴν ἀρχὴν πιστεύσας ἐπὶ τὸν Διογένην ἐκπέμπει.

يصف بسيللوس اندرونيكوس بقوله : «انه رجل ذو بنيه رائعه ، وروح حرة ، وخلق طيب ومتسامح إلى أبعد الحدود ؛» . ويوضح ان الامبراطور ميخائيل السابع الذى خلف ديوجنيس على العرش البيزنطى قد عينه قائداً عاماً على كل جيوش الشرق (٢) . وأرسله لمحاربة ديوجنيس

وقد نفذ اندرونيكوس المهمة التى أسندت اليه وذهب على رأس قواته لمحاربة ديوجنيس وكأنه عدو ، فاستعان ديوجنيس بمساعدة الأتراك السلاجقة ، وتقاتل الطرفان ، وعند مدينة أدنه فى اقليم قيليقيه اتفق على أن يسلم ديوجنيس نفسه مقابل الابقاء على حياته ، وضمن له ذلك نيابة عن الامبراطور ثلاثة مطارنة هم مطارنة خلقيدونيه وهرقلية وكولونيا :

... erant hi chalcedonis archiepescopus et Heraclae et coloniae.

ولكن قبل أن تطأ قدمه أرض القسطنطينية ، لم يسلم من مؤامرات الحزب المدنى ، فنكث الامبراطور ميخائيل بوعده بايعاز من بسيللوس ، وسملت عينى ديوجنيس ونفى إلى جزيرة بروت Prota Insula فى بحر مرمرة ،

---

(1) Psellus : Chronographie : Tomell, p. 168.

(٢) ذكر المؤرخ البيزنطى المعاصر ميخائيل الأطالياتى كذلك حادثة تعيين اندرونيكوس قائداً عاماً (دمستقا) لجيوش الشرق فقال :

„Andronicus praeses primus et designatus domesticus orientis".

انظر :

Michaelis Attaliotae : Historia, p. 173.

ولم يتحمل ديوجنيس كل هذه المآسى التى تعرض لها فتوفى بعد قليل فى عام ١٠٧٢ (١) .

وهكذا تتضح الأمور ، فقد قبض اندرونيكوس دوقاس ثمن خيانته للامبراطور ديوجنيس ، وبدلا من عقابه على تصرفه وخيانته ، كوفىء ورقى إلى أكبر منصب عسكرى فى الامبراطورية وهو قائد جيوش الشرق .

وهذا يدفعنا إلى القول ان الأمر لابد وأن يكون متفقاً عليه بين الحزب المدنى وبين اندرونيكوس دوقاس لخيانة الامبراطور ديوجنيس أثناء معركته مع السلاجقة كوسيلة للقضاء على ديوجنيس وابعاده عن العرش البيزنطى .

ومما يؤيد وجهة نظرنا هذه ان بسيللوس قد أرسل إلى الامبراطور المخلوع ديوجنيس بعد تكحيله رسالة خاطبه فيها بلفظ (ضحيتى) ، وأوضح له فى رسالته انه مثل الشهيد المحظوظ الذى حرمه الله من نور بصره لأنه وجده مليئاً بالنور الالهى (٢) .

والواقع ان المؤامرات التى حاكها الحزب المدنى ضد شخص رومانوس ديوجنيس انما كانت فى حقيقة الأمر تامر على سلامة وأمن الامبراطورية البيزنطية نفسها ، فبعد هزيمة البيزنطيين فى معركة منزيكرت وابعاد ديوجنيس عن العرش أصبحت اتفاقيته مع السلاجقة لاغية ، وقد اتخذ السلاجقة ذلك ذريعة للهجوم على الممتلكات البيزنطية وفى الفترة من ١٠٧١

---

(1) Ioannis Scylitzez : op. cit; pp. 702 — 705.
Michaelis Attaliotae : Historia, pp. 177 — 179.
Zonaras : Epitomae Hisoriarum, p. 706.
(2) Ostrogorsky : op. cit., P. 345.
Haussing : Ahistory of Byzantinecivilisation, pp. 323 — 324.

وهو تاريخ معركة منزيكرت ، وحتى ١٠٨١ عند اعتلاء الامبراطور اليكسيوس كومنينوس للعرش البيزنطى (١٠٨١ — ١١١٨) أخذ السلاجقة يتقدمون على حساب الممتلكات البيزنطية فى آسيا الصغرى ، وانتشروا بها فى كل مكان ، فى قونيه ، نيقيه ، كريسوبوليس ، خلقيدونيه ، ولم يعد يفصل بينهم وبين القسطنطينية سوى مضيق البوسفور ، وانتهى الأمر بتأسيسهم لسلطنة الروم ، التى اتخذوا قونيه عاصمة لها .

ومما ساعد على تقدم السلاجقة ، الخلافات والحروب الأهلية التى نشبت بين البيزنطيين عقب اختفاء ديوجنيس من مسرح الحكم ، وقد استدعى البيزنطيون بأنفسهم السلاجقة لمساعدتهم فى حروبهم الأهلية مما فتح الباب على مصراعيه لهم للتقدم على حساب الممتلكات البيزنطية فى آسيا الصغرى ولم يكن لدى البيزنطيين لا القوة ولا الرغبة لمقاومة هذا الزحف المستمر على ممتلكاتهم .

ولم يبعد المؤرخ فازيلييف عن الحقيقة حين قال : «هزيمة منزيكرت كانت الموت العاصف للسيادة البيزنطية فى آسيا الصغرى ، وخاصة الاقاليم الجوهرية للامبراطورية البيزنطية» (١)

أما المؤرخ الألمانى جلزر Gelzer فقد نعت معركة منزيكرت بأنها «ساعة الموت للامبراطورية البيزنطية العظيمة » ويستطرد قائلا : «نتائجها كذلك بكل أوجهها الكريهة لم تظهر فى آن واحد ، شرق آسيا الصغرى ، ارمينيا وقبادوقيا — وهى الولايات التى كانت مسقط راس الكثير من الأباطرة المشهورين والأقوياء الذين ثبتوا عظمة الامبراطورية — فقدت كذلك ، والاتراك نصبوا خيامهم البدوية على حطام مجد الامبراطورية القديم ، مهد الحضارة سجدت للبرابرة المسلمين ، واكتملت

---

(1) Vasiliev : op. cit., vol., p. 356.

البربرية» (١)

وقد ازعج تقدم السلاجقة هذا ، الامبراطور ميخائيل السابع ، ولما كان الجيش البيزنطى قد دمر خلال معركة منزيكرت ، فقد لجأ ميخائيل للبابا جريجورى السابع (١٠٧٣ — ١٠٨٥) طالباً المساعدة العسكرية ضد الأتراك السلاجقة ، ووعد البابا بأنه مقابل تلك المساعدة العسكرية فانه سوف يعمل على اتحاد كنيستى روما والقسطنطينية ، وازالة الخلاف بينهما . ولما كان هذا هو الحلم الذى سعت اليه البابوية دائماً وهو السيطرة على كنيسة القسطنطينية فقد أرسل البابا جريجورى إلى حكام غرب أوروبا يوضح لهم سوء موقف المسيحيين فى الشرق ، وما تعانيه الامبراطورية الشرقية من أخطار نتيجة لتوسع الأتراك المسلمين .

لكن دعوة البابا ذهبت ادراج الرياح ، كما شغلت البابوية فى تلك الفترة بالصراع العنيف الذى اشتعل بينها وبين هنرى الرابع امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة حول مشكلة التقليد العلمانى .

وقد تم عزل ميخائيل السابع فى ١٠٧٨ م . وحل محله نقفور بوتانياتيس Nicephorus BoTaniaTes (١٠٧٨ — ١٠٨١) ولم يلبث أن أطاحت به ثورة انتهت باعتلاء اليكسيوس كومنينوس العرش البيزنطى فى ١٠٨١ (٢).

وقد وجد اليكسيوس الموقف الخارجى على جانب كبير من الخطورة بسبب غزو النورمان بقيادة روبرت جويسكارد Robert Guiscard لأراضى

---

(1) Gelzer : Abriss der byzantinischen Kaisergeschichte, Munich, 1897, p. 1 010.

(2) Dvornik : Constantinople and Rome, in C.M.H. ed Hussey vol IV part I Cabrmidge, 1975, p. 464.

الامبراطورية فى البلقان ، وتهديد البجناك (١) لحدودها فى الشمال وتقدم السلاجقة المستمر فى اسيا الصغرى ، وبعد أن خاض صراعاً مريراً ضد النورمان ، وجد أن امكانيات الدولة العسكرية لن تتح لها وقف تقدم السلاجقة ، فأرسل للبابا ايربان الثانى (١٠٨٨ — ١٠٩٩) رسالة جدد فيها طلب ميخائيل السابع من البابوية من قبل والخاص بارسال نجدة عسكرية لانقاذ الامبراطورية البيزنطية من خطر السلاجقة ، وقد وجد البابا فى ذلك الفرصة المناسبة للدعوة للحروب الصليبية ضد المسلمين (٢)

وهكذا كانت معركة منزيكرت وما ترتب عليها من نتائج خاصة بتوسع السلاجقة على حساب البيزنطيين ، هى السبب المباشر لقيام الحروب الصليبية (٣) ، تلك الحروب التى استمرت لمدة قرنين من الزمان ، والتى

---

(١) البجناك عنصر من عناصر الأتراك ، وسكنوا السهول الجنوبية لروسيا وقد ذكرهم الامبراطور قسطنطين السابع با سم patzinacita وقد استخدمهم البيزنطيون منذ زمن بعيد كحلفاء لهم ضد اعداء الامبراطورية فى الشمال .وفى القرن التاسع الميلادى أصبحوا يمثلون ركناأساسياً من أركان السياسة الخارجية جنوبالبيزنطة،إذ اعتمد عليهمفى مهاجمة البلغار وفى صد الروس عن التقدم نحوياً ، لكن الموقف تغير بعد أن فتحت بلغارياوضمت إلى املاك الامبراطورية ١٠١٨ م . فى عصر الامبراطور باسيل الثانى،إذ أنهار بذلك الحاجز الذى كان يحمى الامبراطورية من خطرهم وقد سببوا الكثير من المتاعب للامبراطورية بسبب هجماتهم على حدودها الشمالية . للمزيد عن هذا الموضوع أنظر :

Constantinus Porpherogenitus : De Thematilbus et de Administrando Imperio, pp. 164 — 167.

Ostrogorsky : op. cit., pp. 256, 292, 334, 343, 346.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ص ١٣٠

(٣) مما لا شك فيه انه وجد لدى البابوية والغرب الأوروبى بصفة عامة من الأسباب والدوافع ما جعل البابا يعلن الحروب الصليبية متخذاً من استنجاد اليكسيوس كومنينوس ذريعة لاعلانهذه الحروب . انظر عن هذا الموضوع .

جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى، دار المعارف ١٩٦٧ ص ص ٣٧ — ١١٠ .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ص ٢٧ — ٤٣ .

صاحبها الكثير من التغيرات الجوهرية فى منطقة الشرق الأدنى (١) .

ويبقى التساؤل قائماً .. لماذا اتخذ المؤرخ بسيللوس هذا الموقف العدائى من الامبراطور رومانوس ديوجنيس وكال له هذه الاتهامات وحمله وحده مسئولية هزيمة منزيكرت بأكملها ، واخفى الحقائق التاريخية الخاصة بهذه المعركة ؟ .

إذا استعرضنا تاريخ حياة المؤرخ بسيللوس والصراعات الداخلية فى بيزنطة فى تلك الفترة التاريخية ، لابد وأن نفهم الدافع وراء تصرفه هذا . ولنأخذ لمحة سريعة عن هذا الموضوع .

ولد قسطنطين بسيللوس فى عام ١٠١٨م . وكانت عائلته لا تتصف بالارستقراطية والثراء كباقى العائلات الكبيرة فى الامبراطورية ، ولكنها كانت عائلة تتصف بشدة التقوى والتماسك . وكان والده يعمل بالتجارة وقد تجشمت والدة بسيللوس الكثير من المتاعب لتربية ابنها تربية ممتازة بأمل أن يصبح عالماً من العلماء (٢) .

وكان بسيللوس لديه الاستعداد للاستيعاب ، واسع الاطلاع غزير المعلومات ، حاد الذكاء ، درس البلاغة والفلسفة ، وبدأ حياته العملية قاضياً فى فيلادلفيا فى اسيا الصغرى ، ثم عين سكرتيراً امبراطورياً فى عهد قسطنطين التاسع منوماخوس (١٠٤٢ — ١٠٥٥) وفى عام ١٠٤٥ أصبح رئيساً لكلية الفلسفة بجامعة القسطنطينية التى أعيد افتتاحها بناء على رغبة بسيللوس ، وكان يدرس بها الفلسفة الافلاطونية وفى عام ١٠٥٥ انسحب

---

(١) لقد انطوت صفحة الصليبيين الغربيين الذين غزوا المسلمين فى منطقة الشرق الأدنى فى عام ١٠٩٧ بعد قرنين تقريباً من الزمان ، ولكن ليس معنى ذلك انتهاء قصة الحركة الصليبية تلك القصة التى قدر لها ان تستمر قرنين آخرين هما القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

(2) Jenkins : Social life in Byzantine Empire, in C.M.H. ed Hussey, vol IV, part, cambridge, 1967, P. 85.

إلى دير فى جبل اولمبوس فى بيثينيا ، واتخذ اسم ميخائيل Michael الذى اشتهر به .

لكن الحياة الديرية لم تناسب طبيعته فعاد إلى الحياة العامة فى عام ١٠٥٦ واستأنف نشاطه الدنيوى ، وقد استحوذ بسيللوس على احترام معاصريه ، وأصبح واحداً من أكثر الشخصيات نفوذاً فى الامبراطورية .

عاد بسيللوس إلى التدريس فى جامعة القسطنطينية من جديد وإلى جانب الفلسفة كان يدرس البلاغة ، وقد تتلمذ عليه عدد كبير من الطلاب من عناصر مختلفة ، وقد كتب بسيللوس فى أحد رسائله يقول : «لقد سخرنا الكلت والعرب ، وسعوا الينا من القارتين على السواء ، النيل يروى الأرض عند المصريين ، وكلامى يروى أرواحهم ، احد الناس ينعتنى بشعاع الحكمة ، وآخر ينعتنى بالنجم الساطع ، وثالث ينعتنى بأكثر الأسماء خيالا»(١) .

وقد انجز بسيللوس الكثير فى حياته . وخلف كتابات كثيرة فى اللاهوت ، الفلسفة (٢) العلوم الطبيعية ، التاريخ ، والقانون ، كما كتب بعض الشعر وعدد من الخطب والرسائل ، ويقول المؤرخ الألمانى هوسينج Haussing «ان بسيللوس لم يكن مبتكراً أو خلاقاً ، وانما هو مفكراً نشاطه الأدبى يجلسه جنباً إلى جنب مع روجربيكون (٣) ، والبرت ماجنوس (٤) ،

(1) Vasiliev : op., cit., vol, p. 367.

(٢) عن دور بسيللوس فى احياء الفلسفة الافلاطونية راجع :

Hussey and Hart : Byzantine Theological Speculation and spirituality, in C.M.H. ed Hussey, cambridge, 1975, vo lv, part'', pp. 1 194 — 195.

(٣) روجر بيكون Roger Bacon عالم انجليزى ، عاش فى الفترة المتوسطة من القرن الثالث عشر الميلادى (١٢٢٠ — ١٢٩٢) وهو ينتمى لعائلة ارستقراطية عريقة ، وحاز شهرة كبيرة أثناء عمله بالتدريس فى كلية الآداب جامعة باريس ، وخاصة عن طريق محاضراته عن فلسفة ارسطو وفى الفترة من ١٢٤٧ — ١٢٥٧ عمل بجامعة اوكسفورد وكرس نفسه من أجل رعاية العلوم الجديدة التى ادخلت فى جامعة أوكسفورد ، مثل اللغات ، الرياضيات ، علم البصريات ، الكيمياء وعلم الفلك . للمزيد راجع :

Encyclopedia Britannica, U.S.A. vol 1, pp. 527-528.

(٤) البرت ماجنوس Albertus Magnus (١٢٠٠ — ١٢٨٠) عالم ألمانى ، ولد فى

لكن تفكيره لم يكن أبداً بعمق تفكيرهما» (١)

أما فازيلييف فيقول ان بسيللوس رجل آداب أكثر منه رجل تعليم يرجع اليه الفضل فى تطوير الثقافة البيزنطية فى القرن الحادى عشر مثلما طورها فوتيوس Photius فى القرن التاسع وقسطنطين السابع فى القرن العاشر (٢) .

وقد شارك بسيللوس فى الحياة السياسية فى عصره ، وعاصر تسع أباطرة فقد ولد فى عصر باسيل الثانى (٩٧٦ — ١٠٢٥) وتوفى فى ١٠٧٨ فى عصر ميخائيل السابع (١٠٧١ — ١٠٧٨) .

وقد تدرج بسيللوس فى وظائف البلاط ، كسكرتير للامبراطور ، وكبير الحجاب ، والمستشار الأول ، والوزير الأول ، ولقى الحظوة لدى العديد من أباطرة وامبراطورات هذه الفترة الزمنية ويقول بسيللوس ان الامبراطور قسطنطين التاسع كان معجباً أشد الاعجاب ببلاغته ، وكانت اذناه ملتصقتين دائماً بلسانه .

مدينة Padua فى اقليم سوابيا فى ألمانيا ، واشتغل بالفلسفة ، العلوم الطبيعية واللاهوت حتى أطلق عليه اسم Doctor Universalis لشمول معلومات فى كافة فروع المعرفة انضم لجماعة الدومنيكان الدينية فىLavingen فى ١٢٢٣ وقام بالتدريس فى مختلف الأديرة فى ألمانيا وخاصة فى مدينة كولونيا ثم انتقل حوالى سنة ١٢٤٥ إلى جامعة باريس حيث عمل بها أستاذاً فى كلية اللاهوت واكتسب شهرة عظيمة بفضل كتاباته فى اللاهوت والفلسفة ، وقال عنه معاصره روجر بيكون الذى كان صديقاً له «انه الأكثر شهرة بين العلماء المسيحيين». وقد عبر البرت فى كتاباته عن وجهة النظر السائدة فى عصره فى اللاهوت ، الفلسفة والتاريخ الطبيعى وكان هو الوحيد من بين فلاسفة العصور الوسطى الذى قام بعمل شروح لكل كتابات ارسطو فى الفلسفة . للمزيد راجع :

Encyclopedia Brithannica, U.S.A. Vol. 1, PP. 527 — 528.

(1) Haussing : Ahistory of Byzantine civilisation, p. 324.

(2) Vasiliev : op. cit. vol', p. 368.

- أما الامبراطور ميخائيل السادس فكان معجباً أشد الاعجاب بعمق تفكيره وذوقه «كما لو كان العسل يسيل من بين شفتيه» على حد تعبير بسيلوس نفسه (١) .

وقد شهدت هذه الفترة التاريخية التي عاصرها بسيلوس ضعف الامبراطورية البيزنطية وصاحبها تغييرات كثيرة على العرش الامبراطوري وغالباً تغييرات في السياسة العامة للدولة . وقد أظهر بسيلوس براعة كبيرة لكييف نفسه تبعاً لتغير الأحوال ، ولم يتردد في استعمال التملق ، الخضوع الرشاوى ، وغيرها من الأساليب الملتوية لخدمة مصالحة الشخصية (٢)

وقد امتازت هذه الفترة التاريخية كذلك بسيطرة الحزب المدني في معظم الأحيان على مقاليد الحكم في بيزنطه وكان بسيلوس أحد أعمدة هذا الحزب المدني ، وقد لعب دوراً بارزاً في تنصيب قسطنطين العاشر دوقاس على العرش الامبراطوري في ١٠٥٩ م . والبسه الخف الارجواني بيديه ، وكانت عائلة دوقاس تمثل الارستقراطية المدنية في العاصمة . وقد أصبح بسيلوس المستشار الرئيسي للامبراطور والمؤدب الخاص لابنة وولي عهده ميخائيل وأصبحت له السيطرة على كل أوجه السياسة الامبراطورية .

وقد اشتد اعجاب الامبراطور قسطنطين دوقاس بمستشاره المعلم الفيلسوف والخطيب البارع بسيلوس ، الذي عبر عن اعجاب الامبراطور به في العبارة التالية :

---

(1) Vasiliev : op. cit; vol', p. 368.

Dolger : Byzantine literature, in C.M.H. ed Hussey cambridge, 1975, vol'v; part IIp. 230.

(2) Haussing : op. cit; P. 323.

XXV. · Ἐπανεπαύετο δὲ ἐπ' οὐδενὶ τῶν ἄλλων ὡς ἐπ' ἐμοί· ὅθεν εἰ μὴ τῆς ἡμέρας πολλάκις ὀφθείην αὐτῷ, ἐδεινοπάθει καὶ ἠσχάλλε· ἐσέβετό τε διαφερόντως τῶν ἄλλων, καὶ διέκειτο ἀναπιμπλάμενος ἐμοῦ ὥσπερ νέκταρος·

«لم يكن يرتاح لشخص آخر مثلى ، كذلك إذا لم يرانى عدة مرات فى اليوم الواحد ، كان يشتكى ويغضب ، شرفنى تماماً على جميع الآخرين كان يرتوى منى مثلما يرتوى من الرحيق الالهى» .

أما الامبراطورة ايدوكيا فكانت تراه «كأنه اله» (٢) . وعند وفاة الامبراطور قسطنطين دوقاس ١٠٦٧ ، انتقلت الوصاية على ابنائه الصغار ميخائيل ، اندرونيكوس وقسطنطين إلى والدتهم الامبراطوره ايدوكيا ، ولكن السلطة الفعلية كانت فى أيدى بسيلوس ويوحنا دوقاس شقيق الامبراطور الراحل ، اللذين أخذا فى تصريف شئون الحكم والادارة فى الامبراطورية (٣) .

وفى أول يناير ١٠٦٨ تزوجت ايدوكيا من القائد رومانوس ديوجنيس الذى ينتمى إلى عائلة من أكبر العائلات البيزنطية فى اقليم قيادوقيا ، وكان شخصاً بارزاً وقائداً لامعاً شجاعاً ، ابلى بلاء حسنا فى الحروب ضد الباجناك وحاز مكانة مرموقة فى الحزب العسكرى ، وكان يمثل الاستقراطية العسكرية أصدق تمثيل ، وقد عارض بسيلوس ويوحنا دوقاس هذا الزواج . ولكن ايدوكيا أصرت على اتمامه .

وهكذا انتقلت مقاليد الأمور من الحزب المدنى الذى كان يمثله القيصر يوحنا دوقاس وبسيلوس إلى الحزب العسكرى ممثلا فى رومانوس ديوجنيس

---

(1) Psellus : Chronographie, vol II, p. 150.

(2) Ostrogorsky : op. cit. p. 341.

(3) Ostrogorsky : op. cit., pè 344.

ولم يكن هذا بالشيء الذى يرضى اعضاء الحزب المدنى وعلى رأسهم يوحنا دوقاس وبسيللوس بعد أن حرموا من النفوذ والسلطة . وقد اتخذوا من ديوجنيس موقف المعارضة وأخذوا يحيكون المؤامرات ضده (١) ، حتى واتتهم الفرصة للقضاء عليه فى معركة منزيكرت ، وكان اندرونيكوس دوقاس أداتهم لتنفيذ المؤامرة ضد ديوجنيس كما سبق أن أوضحنا ذلك فى موضعه وقد نصبوا تلميذ بسيللوس ميخائيل دوقاس امبراطوراً ، وبذلك عادت لبسيللوس سلطاته الواسعة ومركزه المرموق خلال الفترة التى تولى فيها ميخائيل السابع الحكم ، وحتى وفاة بسيللوس فى ١٠٧٨ .

وهكذا يتضح السبب فى عداء بسيللوس للامبراطور رومانوس ديوجنيس ومحاولته القاء مسئولية الهزيمة فى منزيكرت عليه بكاملها ، وتشويهه للحقائق التاريخية الخاصة بهذه المعركة .

لذلك ، ورغم ان بعض المؤرخين يمتدحون بسيللوس كمؤرخ ويعتبرون مؤلفه التاريخى Chronographie من أهم مصادر هذه الحقبة التاريخية(٢) الا انى أرى ان مشاركة بسيللوس فى الأحداث السياسية التى جرت فى عصره ، جعلته يتحيز لحزب ضد آخر ، وانعكس ذلك بالتالى فى تأريخه لهذه الفترة ، وهكذا فقد أهم صفه من صفات المؤرخ الحق وهى الحياد التام والبعد عن التحيز والاهواء الشخصية (٣) ، وبذلك فقد مؤلفه التاريخى هذا بعض أهميته ، ووجب على الباحث الا يتقبله ويسلم بما جاء به الا بعد مقارنته بغيره من المصادر من أجل الوصول للحقيقة التاريخية المجردة ، التى هى غاية كل باحث فى التاريخ .

---

(1) Hussey : The later macedonians, the comneni, in C.M.H. vol v, parti p. 209.

Ostrogorsky : op. cit., P, 344.

(٢) أنظر بداية هذا البحث ، ص٢٠٩ .

(٣) حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٩ .
محمد زيان عمر : البحث العلمى ، مناهجه وتقنياته ، الطبعة الثانية ، جدة ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٠

مصادر ومراجع البحث

المصادر العربية

- ابن الأثير : (على بن أحمد بن أبى الكرم)
  الكامل فى التاريخ ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة

- ابن الجوزى : (أبى الفرج عبد الرحمن بن على ابن محمد بن على)
  المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ١٣٥٩ .

- ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله)
  زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، الجزء الثانى ، تحقيق الدكتور سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١ .

- ابن القلانسى : (أبو يعلى حمزة)
  ديل تاريخ دمشق ، بيروت : ١٩٠٨ .

- أبو الفدا : (اسماعيل بن على عماد الدين)
  تقويم البلدان ، باريس ، ١٨٤٠ .

- البندارى : تواريخ دولة آل محمد سلجوق ، القاهرة ، ١٩٠٠

- الحسينى : (صدر الدين أبى الحسن على)
  زبدة التواريخ ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تصحيح صحراء اقبال ، لاهور ، ١٩٣٣ .

- الشيرازى : (المؤيد فى الدين هبة الله)
  السيرة المؤيدية ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٥٦ .

المراجع العربية

- أسد رستم : (دكتور)

الروم فى سياستهم وحضارتهم ودياناتهم وثقافتهم الجزء الثانى دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٥ .

- السيد الباز العرينى : (دكتور)

١ - الدولة البيزنطية (٣٢٣ - ١٠٨١) ، القاهرة ١٩٦٠ .

٢ - المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

- جوزيف نسيم يوسف : (دكتور)

العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، دار المعارف ، ١٩٦٧ .

- حسن ابراهيم حسن (دكتور)

تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

- حسن عثمان : (دكتور)

منهج البحث التاريخى ، الطبعة الثانية القاهرة ، ١٩٦٥ .

- سعيد عاشور : (دكتور)

الحركة الصليبية ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧١ .

ـ عمر كمال توفيق : (دكتور)
الامبراطورية البيزنطية ، الاسكندرية ١٩٦٧ .

ـ محمد سرور : (دكتور)
النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، القاهرة ، ١٩٧١

ـ محمد زيان عمر : (دكتور)
البحث العلمى ، مناهجه وتقنياته ، الطبعة الثانية جدة ، ١٩٧٥

ـ نبيه عاقل : (دكتور)
الامبراطورية البيزنطية ، دمشق ، ١٩٦٩ .

المصادر والمراجع غير العربية

— Attaliota, M. : Historia, Emedatior, Bonnae, Meccci.

— Brehier, 1. vie et mort de Byzance, Paris, 1969.

— Dolger, F. : Byzantine literature, in C.M.H. ed Hussey, vol. v, part II, cambridge, 1967.

— Dvornik; F. : Constantinople and Rome, in C.M.H. ed Hussey vol v, part', Cambidge, 1975.

— Encyclopedia Britannica U.S.A. Vol II, 1964.

— Gelzer : Abriss der byzantinischen kaisergeschichte, Munkch, 1897.

— Gibbon, E. : Decline and fall of the Roman Emfire, U.S.A. 1976.

— Haussing, H : Ahistory of Byzantine Civilisation English translation London, 1971.

— Hussey, y. : The tater Macedonians, The comneni and Angeli, LO25 — 1204, in c.M.H. vo. IV. Part, I ed. Hussay, cambeidge) 1966.

— Jenkins R; : Social lile in Byzantine Empire, in C. M.H., ed. Hussey Vol. IV, part II, Cambridge, 1967

— Ostrogerokj, G. : Histoıy of the byzantihe state, translated by Hussey, oxford, 1968.

— Porphrogenetus, C. : De Thematibus et de A dministrando Imperio, Bekk erus, Bonnae, Mdexxxl.

— Psellus, M., chronograhie, collection byzantine publié sous le paronage de l'association guillaume budé serie par renauld, pairs 1928.

— Reid : the reorganisation of the emprie, in C.M.H. Vol IV, part 1, cambridge 1975.

— Rostoutzeff : Ahistory of the ancienwtorld, oxford 1928.

— Runciman, S. : byzantine civilisation, seventh impression great Britain, 1975.,

— Schlumberger; Y. L'epopeé by zantine ,a la fin du dixieme siécle, paris, 1905.

— Scylitza, I; Excerpta Exbreviario Histoeive, Webri Bonnar Mdccc xxx'x.

— Sinnigen, G. : AHistory of Rome to A.D. 565; U.S.A., 1977.

— Toumanoff; The bacground to Manzikert, in proceedings of the xIII th, international congress of.
Byzantine Studies, ed hussey, London, oxford, 1967.

— Vasiliev, A. : History of the Byzantine Empire, U.S.A. 1958.

— Vayonis, S. : Byzantium and Europe, London, 1967.

— Zonaras, I., Epitomae Historiarum, Weberi, Bonnae, Mdccxe Vll.

تم ، بحمد الله ، طبع هذه المجلة

بمطبعة جامعة الاسكندرية ، فى يوم الخميس

١٩٨١/٧/٩

محمد محمود صالح

مراقب المطبعة

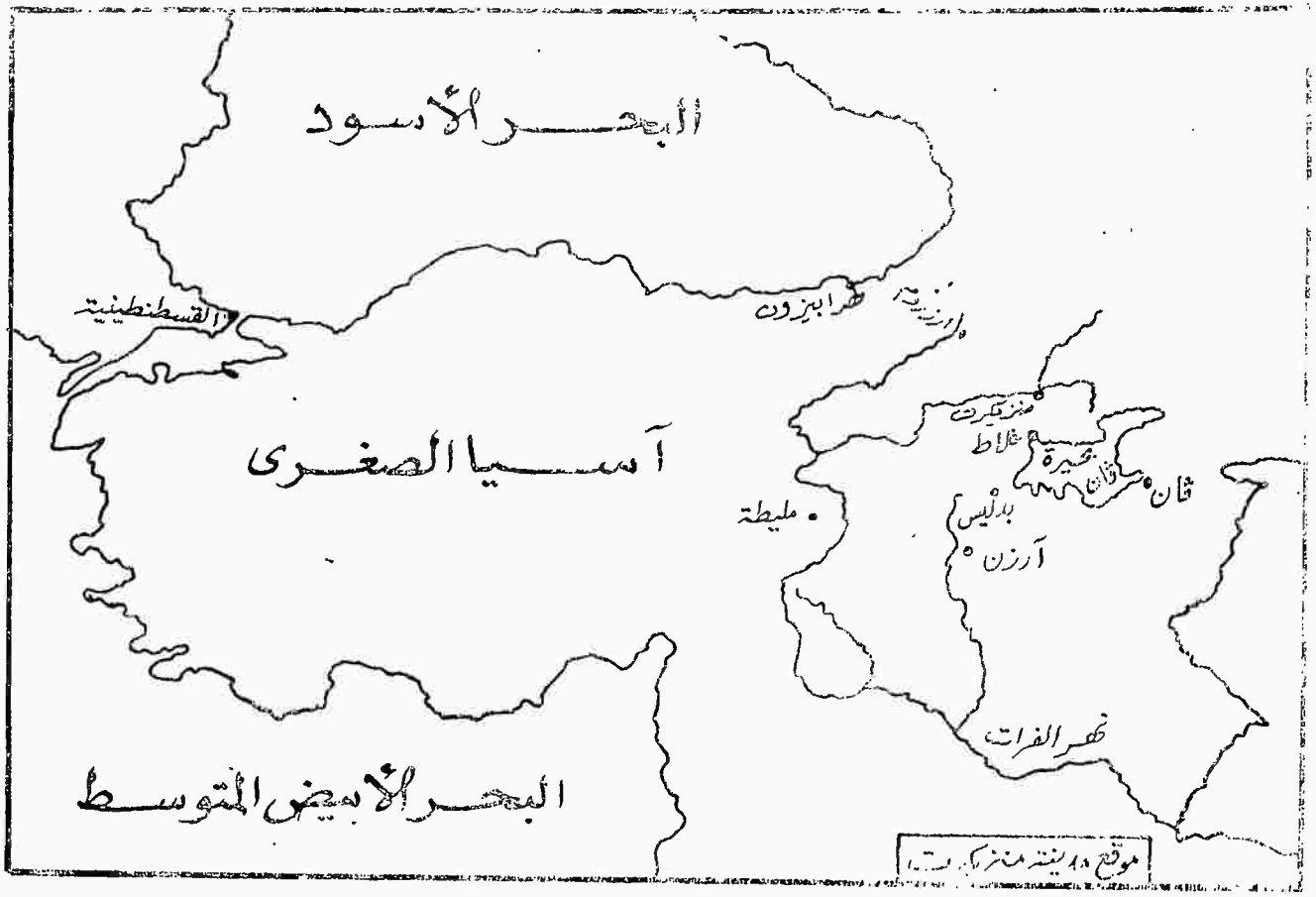
البحر الأسود
القسطنطينية
طرابزون
آسيا الصغرى
ملطية
ديار بكر
بحيرة
ثان
بدليس
آرزن
نهر الفرات
البحر الأبيض المتوسط